

- ١ -

كانت مغادرته بستان النخيل الخاص بـ «أصحاب الملابس البيضاء» إلى الأبد في شهر نيسان (ابريل) من عام ٢٤٠. وكانت صفحة من قصته قد طُويت: لقد عاش حتى ذلك الحين مقيماً ومتخفياً؛ ولسوف يعيش بعد الآن على الطرق.

وكانت محطته الأولى (المدائن). وكانت المدينة الكبرى في وادي «دجلة» عند ولادة «ماني» مقرّ الملوك «البارتيين»، وإذا كانت إمبراطوريتهم قد دالت بعدئذٍ على يد الفرس «الساسانيين» فإن سادة البلاد الجدد استقروا في العاصمة نفسها فاحتفظت بذلك بهالتها وازدهارها.

لقد أضحى اسم (المدائن) اليوم. ومع ذلك فقد كانت إحدى عواصم العالم القديم الكبرى ومهد المانوية وموطناً سامياً كذلك للمسيحية الشرقية. وغير بعيد من الموضع الذي سيأتي العرب بعد خمسة قرون لإنشاء مدينة «بغداد» فيه فإنه لا يزال في الوسع مشاهدة آثار القصر الذي حَقَّق فيه «ماني» أشهر فتوحه.

لكنّ الأحوال لم تكن كذلك غداة رحيله من بستان النخيل. فابن (بابل) كان في ذلك الوقت يملك روح فاتح، غير أن مظهره كان غير ذلك، كان مظهر راهب هائم يرتدي ملابس عجيبة الألوان.